نـافـذة

## التاريخ شاهد

مهما حاول المعتدي على حقوق الغير، دولة كان أم فردا، فإن التاريخ لا بد أن يكشف زيفه في وقت من الأوقات، وفي حالة من الحالات.
في الزمن الراهن يلاحظ كيف يبرر المعتدون على سورية أفعالهم بلبوس النيات الطيبة وهي على العكس من ذلك تماما، كما يرى ويلاحظ على أرض الواقع، على غرار النيات التي رافقت العدوان الفرنسي على سورية– على سبيل المثال– في عام ١٩٢٠.
في العام المذكور، كانت دمشق على موعد مع منعطف تاريخي مهم، تحت ستار إعادة ترميم ما خلفه الاستعمار العثماني حتى زواله في العام ١٩١٨.
وتحت هذه الحجة، وبتحالف فرنسا مع حلفائها، دخلت القوات الفرنسية مدينة دمشق بقيادة الجنرال دولاموت في الخامس والعشرين من شهر تموز، أي بعد يوم واحد من معركة ميسلون التي دفع فيها أبناء شعبنا ضريبة الدفاع عن أرض الوطن دماء لا تقدر بثمن.
في هذا السياق، رافق الجنرال دولاموت في رحلته الاستعمارية إلى دمشق رئيس أركان حربه الكولونيل بتيلا ، وذلك في الوقت الذي غادر فيه الملك فيصل المدينة ليجعل مقر قيادته في بلدة الكسوة، بعد أن كلف رئيس وزرائه مهمة إدارة الأمور في البلاد.
ومعروف أن دخول القوات الاحتلال الفرنسي مدينة دمشق، لم يكن وليد المصادفة ولا نتيجة ما سمي في بعض المراجع «الملابسات» وحكاية هذه الملابسات حكاية طويلة يعرفها من قرأ تاريخ سورية في القرن العشرين، وإنما كان تنفيذا لسلسلة من الخطوات التآمرية التي مهدت لوضع البلاد المحررة في الحرب العالمية الأولى تحت نظام الانتداب الفرنسي والانتداب البريطاني.
ومعروف أيضاً أن الوجود الفرنسي واجه خلال فترة بقائه في البلاد، سلسلة من الثورات التي أقضت مضاجع المنتدبين، ولم ترم بسلاحها قبل جلاء آخر جندي أجنبي عن أرض الوطن في عام ١٩٤٦، وكان الفضل في ذلك، أولا وأخيراً، إلى الإنسان فوق الأرض التي ينتمي إليها، أعني أرض سورية.
في أيامنا هذه، يحاول المعتدون، بمختلف مشاربهم، الذين جاؤونا بقوة السلاح والغدر والتواطؤ من الكيان الصهيوني، إعادة تاريخ المنطقة وتحديدا تاريخ سورية إلى الوراء، مستذكرين تآمر آبائهم وأجدادهم علينا وهم ماضون على نهجهم بكل صفاقة.
إلا أن التاريخ، بغض النظر عن المكان والزمان، يبقى شاهدا على جدوى مقارعة المستعمرين والانتصار عليهم وهزمهم مهما كانت قواهم ومهما تنوعت أسلحتهم، ومن أينما جاؤوا، لأن من يرفض الإذعان لطغيان المستعمر هو المنتصر دائماً ومهما كانت الصعاب في مواجهة مساره.
سورية اليوم، المثال الناصع على مقارعة العدوان بسلاح يفتقر إليه العدو وهو الإيمان بالله ومن كان الله معه كان الشعب معه، ولا بد أن ينتصر على أعدائه مهما طال وجودهم على أرض الوطن في نهاية المطاف، والتاريخ شاهد على حتمية هذه المعادلة.

د. اسكندر لوقا

### انطلاق تصوير فيلم «عزف منفرد»

# عبد الحميد: لن نتغلب على الحزن إلا بالحب المطلق

# شاهين: السينما لا تنفصل عن الواقع المعيش

من المؤتمر الصحفي

من موقع التصوير

وائل العدس

دارت عدسة المخرج عبد اللطيف عبد الحميد يوم أمس، إيذاناً بانطلاق تصوير فيلمه الروائي الطويل «عزف منفرد»، أول أفلام المؤسسة العامة للسينما لعام ٢٠١٨.
وأعلن عن إطلاق الفيلم خلال مؤتمر صحفي عقد في قاعة الدراما في دار الأسد للثقافة والفنون، وهو من تأليف وإخراج عبد اللطيف نفسه، وتمثيل: أمل عرفة ورنا شميس وجرجس جبارة وفادي صبيح وكرم الشعراني وبيدروس برصوميان وعبد الرحمن قويدر وفايز أبو شكر وورد عجيب.

### لمحة عن الفيلم

الحرب ورطة كبرى في حياة البشر، وهي في الوقت نفسه مختبر متعدد الاستعمالات، يكشف أمراض المجتمع والأفراد، ويكشف أيضاً مزايا البشر، وأخلاق الأفراد، ويؤلف قصص التعاطف والتآزر في المحن.
في هذا الشريط محاولة إيضاح ما يمكن أن تسبب المصادفة من القصص المعبرة عن الإنسان الذي لا تُفقده الحرب حسه الإنساني، ولا تجبره الظروف على تجاهل الألم البشري، الذي «لفرط غزارته» يؤسس لبلادة العبور ونقص الانتباه.
«طلال» بطل مصادفة في المكان غير المتوقع، عازف جاور في التواليت كهلاً تجبره صعوبة التبول على الصراخ، يتعاطف معه ويأخذه إلى المستشفى، ومن هناك تبدأ الورطة الأخلاقية في مساعدة الرجل المجهول، في الوقت الذي يكابد فيه «طلال» صعوبات العثور على تكاليف الحياة اليومية.
يقول مؤلف ومخرج الشريط: «في الفيلم أسرة من الأصدقاء الأخلاقيين النبلاء الموسيقيين والمغنيين، ينقذون الحياة، يحاولون إنقاذها بالمعنى الحقيقي والمجازي، ربما أكون قد انحنيت أمام رهافة الفن، متجلياً في شخصيات «عزف منفرد»، وانحنيت أيضاً أمام نبالة التآزر في الزمن الصعب، فكانت أسرة الفيلم، ممن يكابدون العيش، ولكنهم في الليل نفسه.. ليل العقم في مدينة دمشق الحزينة، يصنعون الفرح بالغناء وبالموسيقا وبالحب».

### رسائل مهمة

بداية عبّر مدير المؤسسة العامة للسينما مراد شاهين عن سعادته بالتعاون السينمائي الجديد مع المخرج عبد الحميد الذي يمتاز بأنه كان ومازال خلال مسيرته السينمائية الطويلة ملتزماً بالقضايا الجادة التي يطرحها والتي يبعث من خلالها رسائل مهمة للمتلقي عبر أفلامه، قائلاً إن السينما لا تنفصل عن الواقع المعيش والتاريخ شاهد، بل ملتصقة دوماً بالمرحلة التي تعاصرها وتحاكيها.
وأكد أن المخرجين السينمائيين ممتلكون لأدواتهم بخبرة ومعرفة تامتين، ولدينا ثقة متبادلة معهم، وهم قادرون على مسّ الهمّ والوجع السوري بشكل مباشر.
وكشف أنه سيكون هناك تعامل جديد مع مخرجين جدد، لمحاولة توسيع هذه الدائرة ليكون لدينا أكبر عدد ممكن من المخرجين الموهوبين والقادرين على كتابة أو تنفيذ نصوص سينمائية جيدة ومميزة تعبّر عن الهوية السورية بشكل أساسي.
وعن إنشاء دور عرض جديدة قال شاهين إننا بدأنا بالعمل الفعلي، وأعطيت توجيهات بتشكيل لجنة لتحديد دراسة للمحافظات والمناطق وفقاً للتوزيع السكاني، والمشروع يحتاج إلى مدة طويلة.

### الفرح الأكبر

بدوره قال عبد الحميد إن فيلمه يدور في عام ٢٠١٣ في ذروة الحزن، وأضاف: لا أتصور أننا في حالة فرح حالياً رغم التفاؤل الجاري، فالفرح الأكبر عندما تتوقف الحرب كلياً ويعم السلام في بلدنا.

## عرفة: السينما المنفذ الكبير في حالة عدم الاستقرار في التسويق الدرامي

وأكد أن كل عمل لا يجمع الشغف والحب لن يخرج بالنتيجة المرجوة، فالإخلاص والحب والاحترام نواة أي عمل، ولن نستطيع التغلب على الحزن إلا بالحب المطلق، مشيراً إلى أن السينما مرآة تعكس فترة معينة من الصعب الإلمام بكل تفاصيلها كالنهر الجاري، لذلك الحرب تكون في مجملها اختباراً لعلاقات البشر الحقيقة.
وعبّر عن سعادته بوجود نخبة من الممثلين السوريين الذين سينقلون بفنهم الفرح بالغناء والحب والموسيقا في ليالي العقم في مدينة دمشق الحزينة.
وختم: أحاول من خلال هذا الفيلم الوصول إلى مكان يخص سلوك الإنسان في لحظات حرجة جداً وإيقاظ الروح الإنسانية والمشاركة والتعاون بين البشر، لأن الفيلم يحكي عن الناس وكيف واجهوا الحياة والحرب.

### التجربة الثانية

وكشفت أمل عرفة أن «عزف منفرد» يمثل تجربتها السينمائية الثانية مع عبد الحميد بعد فيلم «صعود المطر» عام ١٩٩٥، مشيرة إلى أن العمل معه يشكّل حالة فرح عندها، ورغم أن الدور قصير لكنه أساسي ومفصلي عن قصة حب نسجها النص.
واعتبرت أن السينما باتت المنفذ الكبير للفنان السوري في حالة عدم الاستقرار في التسويق الدرامي التلفزيوني رغم الفروق في الأجور والانتشار، والتمثيل نافذة لغسل الروح وكتابة التاريخ.
وبينت أن مسؤوليتها وأدواتها تبقى ذاتها وذلك نابع من احترامها للجمهور إلى جانب أهمية تقديم الجديد دائماً الذي يضيف لمسيرتها الفنية، وأنها وجدت في هذا العمل ما يضيف إلى مسيرتها الفنية ولوحة الموزاييك التي تقوم ببنائها عبر نشاطها الفني، وخاصة بعد اطلاعها على السيناريو التي نسجه عبد اللطيف بطاقة كبيرة من الحب والشغف، فهو يروي بكل ذكاء أن لا طريق للسلام إلا بالحب، ولذلك يتضمن النص مقترحاً فنياً عالياً جداً.

### اثنان في واحد

أما رنا شميس فكشفت أنها تؤدي دوراً تمثيلياً وغنائياً طربياً في آن واحد، لتكون أمام تحد فني كبير وضعها المخرج في مواجهته، وأكدت أننّا سنرى شخصية إيجابية ملأى بالحب والموسيقا، وتكون الشخصية في مكان ليس لها، من أجل المحافظة على عائلتها.
وأوضحت أن الحب الذي يحكي عنه الفيلم هو المطلوب في وقتنا وظروفنا الحالية ليستطيع كل فرد تجاوز العثرات والمصاعب والظروف المحيطة.

### إضافة مهمة

وقال جرجس جبارة إن العمل مع المخرج عبد الحميد فرصة مبكرة ومهمة كاشفاً أنه يؤدي في العمل شخصية إنسانية بكل متاهاتها، سواء كانت تراجيدية أم كوميدية، مؤكداً أننا لن نستطيع تحديد ماهيتها لكنها تجتمع في إطار الإنسانية، ومعتبراً السينما إضافة مهمة لمسيرة كل فنان سوري.
ورداً على سؤال، اعتبر جبارة أن التأطير بأدوار معينة يأتي نتيجة عمل المخرجين غير الممتلكين لخلفية درامية صحيحة.

### حب وشغف

وعبّر فادي صبيح عن إعجابه الشديد بالنص منذ قراءته، وتمنى أن يكون قادراً على تجسيد الحب والشغف الذي يتضمنه من خلال شخصية «طلال»، مضيفاً إنها تجربته السينمائية الثانية مع المخرج بعد فيلم « العاشق» الذي أنجز عام ٢٠١١.
وأوضح أن «طلال» عازف موسيقي يتعرض لموقف إنساني يتعامل معه بكل جوارحه محبة وإيماناً منه بالإنسانية، من دون أن تجبره الظروف على تجاهل هذا الموقف الإنساني.
ووصف العزف على الكونترباص بالتجربة الصعبة وسيحاول قدر الإمكان أن يكون مقنعاً بأداء هذه الشخصية المختلفة.
ولفت إلى أنه رغم أسبقية الدراما في تجسيد مواضيع إنسانية تبقى السينما أكثر مجهرية في تسليط الضوء على القصص الإنسانية.

### وحيد مغاربة فنان متميز وسط مؤثرات فكرية وفنية

# طاهر البني: استطاع الجمع بين براعة التكوين وروعة التلوين إلى جانب الأصالة المستمدة من الموروث

سارة سلامة

نظراً لما للفنان وحيد مغاربة من حس وذوق رفيع، حيث اتسمت تجربته الفنية بالغزارة والكثافة والجمالية ما دفع صديقه الباحث طاهر البني لخصّه ببحث يتضمن المراحل التي مر بها إن كان في حلب أم في إيطاليا، مستشهداً بما قاله الفنان وخلده عن نفسه وكذلك شهادات الآخرين فيه، وعرض البحث المؤثرات الفكرية والفنية بلوحاته وتجربته في التصوير التجريدي ثم عودته إلى المنمنمات وتمجيد الفنان للحياة والعمل ومكانة المرأة في لوحته ببيئتها الشرقية وعلاقاته مع الطيور والخيول والأزهار.

وضمن سلسلة مسارات فنية صدر عن وزارة الثقافة– الهيئة السورية للكتاب، كتاب جديد للباحث طاهر البني يرصد فيه مسيرة الإبداع بين التأصيل والتحديث للفنان التشكيلي وحيد مغاربة، الكتاب يحتوي على مسيرة الفنان مغاربة ومختلف المعارض التي قام فيها داخل سورية وخارجها.
وتضمن مجموعة من الفصول ومنها: المعراج إلى برزخ المجردات، عودة إلى المنمنمات، تمجيد الحياة والعمل، جماليات الشرق في لوحات، تأملات في مقامات الإبداع، كل جديد يحتاج إلى خبرة ومعاناة، سحر العمل الفني وسر خلوده، البشر يرتفعون إلى السماء، قراءة في بعض لوحات وحيد مغاربة، شهادات وآراء، بعض الأعمال التصويرية للفنان مغاربة.

### تمجيد الفنان للحياة

وجاء تقديم الكتاب على يد عبد الفتاح رواس قلعه جي الذي قال: «جاءت الدراسة متسمة بالموضوعية والاستيفاء، فقد أكد في نتاج وحيد تأثير البيئة في حياته، وفي حبه للعزلة التي رافقته طوال حياته في حلب وروما، والتي هيأت له فرصة وافية للتأمل والتفكير فيما يرسم، وإلى رصد البيئة الحياتية من حوله ليحولها إلى موضوعات تزخر بها رسومه».
وأضاف قلعه جي: «إن البني أغنى الكتاب باستشهادات وشهادات من أقوال الفنان نفسه، كما أجاد في عرض المؤثرات الفكرية والفنية في لوحات وحيد، من تأثر بمناخات الأسواق الشعبية وحركة الناس فيها، وملامح العمارة بما فيها من أصالة وحداثة والأسواق ذات الرائحة الشرقية المشبعة بتوابل السحر وضياء الشمس، وصور المنمنمات العربية والإسلامية ودورها في الناحيتين التكوينية والتلوينية في لوحات وحيد، وغيرها من المؤثرات الحياتية والاجتماعية والثقافية، كما عرض بعمق واستيفاء المراحل التي مرّ بها الفنان وحيد، ومنها المرحلة الإيطالية، وساق أقوال النقاد الغربيين في أعماله، ومرحلة ما بعد عودته إلى حلب، وتجربة وحيد في التصوير التجريدي، ثم عودته إلى المنمنمات، وأكد على تمجيد الفنان للحياة والعمل، واحتفائه بالمرأة في مناخاتها الشرقية ضمن علاقات محببة مع الطيور والأزهار والخيول».

### الطاقة اللونية

وذكر الباحث طاهر البني في مقدمة الكتاب: «إن مغاربة فنان متميز لا يقل شأناً عن نظيريه، بل كنت أرى فيه ما يتفوق به عنهما، فإذا كان الكيالي يمتاز بمقدرته على الرسم التعبيري والتكوين المتين، وكان المدرس يمتاز بأسلوبه التصويري الذي يعتمد على الطاقة اللونية المشحونة بانفعالاته المتأججة، فإن المغاربة استطاع أن يجمع في لوحته براعة التكوين وروعة التلوين إلى جانب الأصالة المستمدة من الموروث الفني المحلي والحداثة في معالجة المادة التصويرية التي تتوازى مع المنجزات الفنية في العالم، وكنت أخشى أن يكون هذا اليقين في نفسي نابعاً من محبتي لشخص الفنان وأعماله التي استحوذت على إعجابي منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين».

### المؤثرات الفكرية والفنية

حين فرغ وحيد من خدمة العلم، أخذ يقترب من الوسطين الفني والثقافي، فتعرف إلى الطبيب والباحث الدكتور سلمان قطاية وأخيه الفنان والناقد نبيه قطاية، وراح يعكف على القراءة الأدبية والفنية، ويزور المتاحف، ويتعرف إلى ألوان التعبير المختلفة في القصة والرواية والمسرح والسينما، ويقرأ الشعر القديم والمعاصر، ويتابع نظريات الفن وعلم الجمال وتاريخ الفنون العالمية، فشكل كل هذا رافداً واسعاً لمعرفته، ومحرضاً فاعلاً لمخيلته.
حيث قال: «أعترف أنني قرأت الشعر والرواية والقصة من هوميروس وفرجيل إلى كيتس ورامبو وريكله وأودين ولوركا وأدونيس في الأدب العربي، ومن امرئ القيس والمعري وأبي نواس والبحتري والمتنبي وابن الرومي وابن المعتز إلى شوقي ومطران والعقاد وأحمد زكي ونجيب محفوظ وبعض الشعراء المحدثين أمثال السياب وعبد الصبور والحجازي والبياتي والقباني وأبي ريشة وغيرهم، أما في القصة والرواية فقد قرأت لمعظم أدبائنا المجددين أمثال وليد اخلاصي وزكريا تامر وحنا مينة وغيرهم ممن لا مجال لتعدادهم».
ففاضت الصور المركبة لديه، ووجدت لها مسرحاً رحباً في تشكيلاته ومكونات مفرداته التي تتداخل ضمن تكوينات مبتكرة على نحو تبدو فيه بعض تأثيرات المدرسة التكعيبية في بنائية الشكل وتحليله عبر مساحات متداخلة بين القاتم والمضيء، حيث تتنفس الأشكال في أكثر من مستوى للرؤية عبر مناخات لونية كثيفة تنوس بين العتمة والنور، والبارد والدافئ، تعرض المواقف الدرامية في الحكايات الشعبية والأساطير الشرقية، وتجسد عوالمها الملحمية الممتدة في أعماق الذاكرة الإنسانية لبلاد الرافدين وأرض الشام.

### المرحلة الإيطالية

ما حققه وحيد مغاربة من نجاح في معارضه في حلب وبيروت، وما أنجزه عبر مساهماته في المعارض الجماعية إلى جانب لؤي كيالي وغيره من الفنانين لم يثنه عن مواصلة دأبه ومتابعة دراسته الأكاديمية في إيطاليا، ففي عام ١٩٧٥ سافر وحيد إلى روما وانتسب إلى أكاديمية الفنون الجميلة، رغم ضيق أوضاعه المادية، وتغلب على الظروف الصعبة والعقبات التي كانت تواجهه بمزيد من المثابرة والعمل.
حيث قال: «وصلت إلى محطة ما، لكنها ليست المحطة النهائية، وكان قطاري يتأهب من جديد نحو ما هو أعم وأشمل، وأكثر من محلي، فاخترت السفر إلى روما، واخترت البداية من الصفر منتسباً إلى كلية الفنون الجميلة».
وفي كلية الفنون الجميلة عرض وحيد صور لوحاته التي أنجزها في المرحلة السابقة على البروفيسور تروتي أستاذ مادة التصوير، وبعد أن تأملها رفع رأسه وقال لوحيد: أنت لست بحاجة للدراسة فابتسم وحيد وشكره، لكنه أصرّ على متابعة دراسته، وشرع ينهل من ينابيع الفن الخالدة التي لا تنضب، ويشاهد المعارض في الصالات والمتاحف، ويتعرف على روائع فنون التصوير والنحت الخالد، ويستمتع برؤية مئات التماثيل المنتشرة في كل مكان، وهي تفصح عن روعة الفن وتنطق بآيات السحر والجمال.

### عودة إلى المنمنمات

المنمنمات التي أنجزها وحيد مغاربة في معرضه السابع عشر الذي أقامه في صالة الفنون الجميلة بحلب عام ١٩٩٩ تشكل قالباً فنياً يقدم الموضوع التشكيلي في حيز صغير لا يتجاوز أحد أبعاده الثلاثين سم، والمنمنمات فن انتشر في معظم الرسوم الشرقية والإسلامية التي كانت تحتفي بها الكتب العلمية والأدبية والتاريخية في العصور الوسطى وبعض القرون التي تلتها، ولاسيما تلك المنمنمات التي أنجزها العرب في القرن الثالث عشر عبر فنون الرسم وصناعة الكتب، وكانت معظم المنمنمات يتم تصويرها على الورق المقوى، كما هو الحال في مقامات الحريري التي صورها الفنان العربي محمود بن يحيى الواسطي المحفوظة في عدد من المتاحف الغربية.
أما منمنمات وحيد مغاربة فقد صورت بالألوان الزيتية على الخشب المضغوط، وهذا التصوير يتطلب الكثير من المهارة والحذر ولاسيما إذا علمنا أن المنمنمة لدى وحيد لم يكن يتجاوز قياسها ١٨– ١٥ سم.